الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء ماء يعني السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق
من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الماء
من الثمرات رزقا لكم الثمر يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله من ثمره اذا اثمر
وآتوا حقه يوم حصاده قوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمر وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره لما ذكر الله تعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده
بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من
بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان
ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب ذكر فيه على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون
لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الداب العادة المستمرة دائما على
حالة واحدة وداب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائبين فيما يعود الى مصالح
العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس رضي الله عنهما دؤبهما في طاعة
الله عز وجل وقال بعضهم يدابان في طاعة الله اي في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات
والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور
وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة
والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لكم وآتاكم من كل ما سالتموه لما ذكر الانعام العظيمة
التي انعم بها على عباده وسخرها لكم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع
والمرادات ما لا ياتي على بعضها العد والحصر والمعنى واتاكم من كل ما سالتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء
بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا
اكثر من ان تحصر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها
ولا عدها لكثرتها ان الانسان قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد
به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير
موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا يعني ذا امن يومن
فيه من اراد بالبلد مكة **فان قلت** اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا وبين
قوله اجعل هذا بلدا آمنا **قلت** الفرق بينهما انه تعالى في الاول ان يجعلها من جملة البلاد
التي يامن اهلها فيها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني ان نعبد
الاصنام **فان قلت** قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان
ابراهيم دعا ربه ان يجعل هذا البلد آمنا ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه
الثاني ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني
عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سال ربه ان يجنب بنيه من عبادة الاصنام وقد وجد
كثير من بنيه عبدوا الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب الى ابراهيم عليه السلام **قلت**
الجواب عن هذه الوجوه المذكورة من وجوه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة

دعا

دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب مكة واورد
على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني الى قرب القيامة وخراب
الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون
المراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص
اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة آمنين من ذلك
حتى ان من التجا الى مكة امن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت
فاذا دخلت الحرم امنت واستانست لعلمها انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله
تعالى بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني من وجوه ايضا الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه
لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان
كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة
والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته ان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا
لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول
ان ابراهيم عليه السلام دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد منهم احد صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده
واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث
قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان يدعو له فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء
مستجاب وقد كان من قبله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع
ان هذا مختص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك
يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل رب انهن
يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان الاصنام جمادات لا تعقل شيئا فتضل من عبدها
الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها
واغتروا بسببها فمن تبعني فانه مني يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين
بديني المتمسكين بحبلي وقيل معناه كما قال الشاعر اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني
اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه انه مني حكمه حكمي جار مجراي في القرب والاختصاص ومن عصاني
يعني في غير الدين فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني
باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر
الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم عليه السلام ربنا اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم عن ابن عباس رضي الله عنه اول ما اتخذ النساء
المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة احد يومئذ وليس
بها ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعلت لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)